

الذات الشاعرة المغربية المعاصرة: من مأزق الكينونة إلى رحابة
اللغة -قراءة في نماذج مختارة-

The contemporary Maghreb poetic self: from being
predicament to the spaciousness of language
– a reading in selected models-

ط.د: فوزي لحمر¹

د: جمال سعادنة*

تاريخ الإرسال: 2020 / 08 / 11	تاريخ القبول: 2021 / 01 / 16	تاريخ النشر: 2021 / 06 / 30
-------------------------------	------------------------------	-----------------------------

الملخص:

تجاوز الخطاب الشعري المغربي المعاصر التجربة الشعرية القائمة على وصف الواقع، حيث احتفى الشاعر المغربي بذاته معتبرا إياها عنصرا واعيا بالعالم وفاعلا فيه، إن هذا النزوع نحو الداخلي لا يعني أبدا هروبا من الواقع؛ لأن التفكير في الظواهر المحيطة للإنسان يبدأ من التفكير بالذات الإنسانية، بوصفها واقعا مصغرا يسكن الواقع الأكبر.

من هذا المنطلق، يهدف البحث إلى استجلاء تجربة الشاعر المغربي وهو يسعى لإثبات كينونته، وذلك بالاشتغال على اللغة الشعرية، للبحث في جدوى هذه الاستدارة في الكتابة الشعرية المعاصرة: هل هي قطعة مع الواقع، أم إنها اتصال كامن في تضاعيف النص الشعري؟

الكلمات المفتاحية: الذات الشاعرة، الكينونة، اللغة، التجاوز، الشعر المغربي المعاصر.

المؤلف المرسل : فوزي لحمر fouzi.lahmar@univ-batna.dz

¹ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة الحاج لخضر باتنة1

fouzi.lahmar@univ-batna.dz

* جامعة الحاج لخضر باتنة1 الجزائر saadna.djamel@gmail.com

Abstract :

Contemporary Maghreb poetic discourse transcends the poetic view that describes and depicts reality. The Maghreb poet celebrated himself as a conscious element in the world. This tendency towards internalism doesn't mean escaping from reality, because considering the person surrounding phenomena starts from thinking about the human Self. It is a minor reality that inhabits the larger one.

Thus, this study aims at clarifying methods adopted by the Maghreb poet to prove his being through studying poetic language. So, is rotation in contemporary poetic writing a break with reality or a connection inherent in the multiplication of the poetic text.

Keywords: poetic self, being, language, transcendence, contemporary Maghreb poetry.

*** **

مقدمة:

تبَيَّ الشاعِر المِغارِبِي خلال الرِّبع الأخير من القرن العشرين خطاباً قائماً على السَّؤال الوجودي وعلاقة الذات الشاعرة بالعالم، حيث حفل النص الجديد بإبداعات إستيمو-أنطولوجية تنو إلى انتشار الإنسان من عالمه المتأزم وإيجاد حل لمشكلاته، ولا مناص من ذلك - حسب تقديرنا- إلا بخلق عالم مفتوح قابل للتعديل، أو لإعادة تشكيله من جديد، بحيث تمتلك فيه الذات الشاعرة إرادة التغيير والإبداع الشعري، لذلك قامت هذه الدراسة على إشكالية تبحث جدل الواقعي والذاتي في تجربة الشعراء المِغارِية المعاصرين ومدى تأثير ذلك في انفصال الذات عن الواقع أو اتصالها به، وما ترتب عن ذلك من تحول في تجربتهم الشعرية، وعليه تفرعت عن هذه الإشكالية المركزية مجموعة من الأسئلة الجزئية التي تضبط المحاور العامة للدراسة، ولعل من أهم هذه الأسئلة:

- ما هي الدوافع التي جعلت الشاعر المِغارِية المعاصر ينتقل من مرحلة وصف الواقع إلى تذويت النص؟
- هل تمكَّن الشاعر من الإمساك بذاته والحفاظ على كينونتها بعدما عزلها عن عالمها الحسي؟ وما هي الإبداعات التي قدَّمها لهذا العالم؟
- وهل وافق هذا التحوُّل التجربة الشعرية الحداثية؟ أم أنه زادها غموضاً وانفصالاً عن الواقع؟

سنحاول في هذه الدراسة الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال ثلاثة نماذج شعرية مغاربية لشعراء مغاربة هم: (مصطفى الغماري، منصف الوهايي، حسن الأمراني)، معتمدين تأويل بعض نصوصهم الشعرية المعاصرة.

1. الكينونة والهوية: المفهمة:

لأشك أن سؤال الكينونة هو السؤال الأول الذي يهتم بالموجود الإنساني على اعتباره موجودا مفكرا وباحثا عن حقيقة الموجودات في العالم، وقد بُعث هذا السؤال من جديد مع الفيلسوف الألماني "مارتن هيدغر" Heidegger Martin، الذي قدّم سؤال الكينونة (من يكون الإنسان؟) على سؤال الماهية (ما هو الإنسان؟) ذلك لأن الكينونة ليست موضوعا يمكن معرفته وتعيينه، بل هي من تعطي الأشياء وجودها وتجعلها تنكشف في العالم، فالكينونة نداء -حسب تعبير هيدغر- يجعل الكائنات تظهر وتنبثق في الوجود، إنها مُعطى وجودي يشرح نفسه بنفسه، وما علينا سوى الإصغاء لهذا النداء؛ ذلك لأن « الكينونة هي التصور المفهوم - بنفسه - فإن في كل معرفة وتلفظ، في كل سلوك إزاء الكائن، في كل سلوك - إزاء- ذات أنفسنا إنما يتم استعمال "الكينونة"، والعبارة هي بذلك مفهومة بلا أي زيادة، فكلّ يفهم: "السماء {هي} جميلة"، "أنا {كائن} مبتهج" وما شاكل ذلك.¹

فالكينونة هي ما أكونه دون الحاجة لأن أثبته، عكس الهوية التي تعني خصائص الكينونة وميزات الفرد التي تميزه عن باقي الأفراد داخل جماعة هوية معينة « لذلك فإن لفظ الهوية مشتق من (الهو) كما تشتق الإنسانية من الإنسان وهوية الشيء هي عينيته وتشخصه وخصوصيته التي ندركها بالجواب عن السؤال: ما هو؟ ومن نحن؟² من هنا يتضح لنا أن الكينونة سابقة على الماهية، فالذات الإنسانية لا تدرك كينونتها إلا من خلال فهم العالم المحيط بها و موجوداته كلها، وهذا الفهم مرتبط بالسؤال الذي طرحه الذات الإنسانية عموما، والذات الشاعرة على وجه الخصوص.

2. الذات الشاعرة المغاربية المعاصرة وسؤال الكينونة:

1.1. لحظة التجاوز:

نافح الشاعر المغاربي إبان فترة ما بعد الاستقلال عن الهوية الوطنية والقومية العربية، محاولا إصلاح التصدعات الابدستيمية التي أحدثتها مرحلة الاستعمار وربط

أواصر الانتماء بالثقافة العربية الإسلامية وقد انساق بعض شعراء المغرب وراء النموذج المشرقي الكلاسيكي المقلد، في حين خالف بعضهم الآخر جمود القصيدة الكلاسيكية، متجاوزين السائد المؤلف لأنه آن الأوان - حسب رأيهم- للتحرر من سلطة الشكل العمودي الصارم «فبدأ الشعراء المعاصرون بالمغرب، وقبلهم في المشرق، يكتبون وهم واعون، تحكمهم درجات متفاوتة من الوعي، بدورهم التحطيسي الاستسلامي المضاد لطبيعة الشعر، وبضرورة فرض منظور معاصر للنص الشعري، يتجاوب مع متطلبات التعبير الصادق عن مرحلة تاريخية متشججة»³

إن هذا الوعي الجديد لم يكن مزيفا ولا انعكاسا للحدثة الغربية (كما يرى بعض الدارسين)، بل - هو حسب تقديرنا - جاء كرد فعل طبيعي للوضع المتأزم الذي عرفته البلاد العربية في تلك المرحلة التاريخية الحرجة، إنه إبدال اقتضته خيبة الشاعر المغاربي تجاه أزمات واقع بات يضيق بالرؤية الشعرية التقليدية التي تعزل الشاعر عن التعبير الصادق، وتَصْرِفُه عن قضايا المحورية إلى الانشغال بالقوالب المتكلسة، واللغة الجاهزة، والصور النمطية المترهلة.

بيد أن مرحلة ما بعد سنة (1975) شهدت منعطفًا في الرؤية الشعرية حيث اتجهت نحو تذويت النص، إنه غور في الذات الشاعرة* المنتجة للنص الشعري، وفي طرائق البوح والتجلي والخلق الشعري لهذه الذات، من خلال «الإنصات إلى الشرائط الخارجية للإنتاج النصي ... وهي التي أعطتنا، من بين ما أعطتنا، وضعية كل من المركز الشعري، ومحيطه اللذين انطلقنا منهما في قراءة النص الأثر والنص الصدى»⁴

لعل هذا التفاعل والتواشج بين الذات الشاعرة، والذات القارئة سيحيلنا دون شك على نص أو نصوص تراكمية، تعيد بناء قصيدة حديثة وفق سياق تأويلي رهو ولا سُكوني، من هنا تبدو مهمة الشاعر-للهولة الأولى مستحيلة- لأنه سيجد في بحر من السراب والمعنى الضبابي، لكن هذا التيه سرعان ما يتحول إلى يقين يرسو عليه الشاعر؛ عندما يتخذ من سرابه عالما لا مرثيا ذا أبعاد أنطولوجية خاصة يخلخل بها السائد؛ «أي تجاوز عتبة الواقع العيني واختراق البعد اللامرئي فيه، حيث تتمرأ حياة خلف الحياة إنها حياة الرموز والدلالات والإشارات الياحائية التي تؤول العالم، وتعيد امتلاكه،

وتحقق كينونة الإنسان باعتباره ظاهرة متعددة، وباعتباره آخر قابلا للكشف وإعادة التأويل⁵.

ولتوضيح ذلك وتبيينه قمنا باختيار مجموعة من النماذج التي تستجيب لتوجه الدراسة، بحيث تبرز فيها ظاهرة البحث عن الذات؛ وهذه النماذج تعود لشعراء، يمثل كل منهم تجربة لافتة وجديرة بالدراسة وهم: "مصطفى الغماري" (الجزائر)، "منصف الوهايي" (تونس)، "وحسن الأمrani" (المغرب)، وسنعمل على توضيح تجربة هؤلاء الشعراء في العمل على إبراز العالم الممكن؛ من خلال اختفاء العالم الواقعي المحسوس.

2.2. الوجود في-العالم كإبدال كيانوي* للوجود داخل العالم:

شكّلت التجربة الشعرية المغربية المعاصرة ظاهرة وجودية بامتياز، لأن الشاعر المغربي- خلال هذه الفترة- أصيب بصدمة فاقت صدمة الشاعر المشرقي كونها كانت مركبة أو مزدوجة؛ خيبة أمله في الوحدة العربية (بعد النكبة الكبرى) وتشتت الجهود في استعادة أرض المسلمين في فلسطين، وكذا إجهاض مسعى بناء دولة داخلية قوية بعد الخروج من مرحلة الاستعمار، على اعتبار أن الأحداث السياسية الإقليمية كانت متوترة بين دول المنطقة- آنذاك- وإزاء هذا الوضع وجد المثقف المغربي -عموما- والشاعر-على وجه الخصوص- نفسه مقذوفا في عالم (على حد تعبير مارتن هيدغر) متأزم مليء بالصراع والتوتر، فلم يصبح العالم بالنسبة إليه مجرد بناء مكاني للتأمل والوصف، بل أصبح يثير في ذاته الهم والقلق والتساؤل، وهنا يكمن تجاوز الشاعر المغربي للعالم الواقعي الكمي إلى عالم وجودي عميق يتواشج مع الموجود البشري في علاقة ليست علاقة ذات بموضوع، بل هي علاقة اهتمام وقلق؛ فالشاعر أضى يحمل عبء عالمه، وبالتالي لا يمكن لعالمه أن يكون مجرد مكان يعيش داخله بقدر ما هو موجود فيه (يحمل همه) « فليس يمكن للكائن أن يلمس كائنا قائما داخل العالم إلا متى كان له أول أمره نمط كينونة الكينونة- في- متى كان له بعد مع كينونة-الهنالك التي تخصه شيء من قبيل العالم الذي كُشف له، انطلاقا منه يمكن للكائن أن يتجلى في الملامسة من أجل أن يصبح بذلك مولوجا إليه في كينونته القائمة أمانا⁶، وهذا هو الإبدال الذي نلمسه لدى الشاعر الجزائري "مصطفى الغماري" من خلال قصيدة (حديث الشمس والذاكرة) إذ يقول:

لماذا سافرت تلك العيون إلى عالم الريح والموت

حيث الشعوب القطيع...

وحيث الصقيع المطر!

وماذا يريدون باسم القدر؟

مؤامرة...

حكاها الليل...

إن الذي باع (فاطمة) موشك أم يبيع السور⁷!

نلاحظ من خلال هذا المقطع غلبة السؤال والاستفهام على معظم أساليبه،

وهذا يدل على حالة الحيرة والقلق الذي يكابده الشاعر إزاء الوضع الذي آل إليه عالمه

الواقعي، فيقرر أن يتجاوزه فجأة، ويستبدله بعالم يُخلق باللغة ويسكن الذات (لا

العكس)، إنه «بديل لغوي للعالم الذي نراه»⁸، يقول مصطفى الغماري:

تغرّبتُ عني...

وكان المحيط يضيق، ويتسع الرعب

إنّ السجون غنيّه

وإني على حرها أتقياً حري

ويعبرني في الشوارع ذعري

أنا طائر البرق

تلفحه الريح...

ما إن له من مقرّ

يسافر حيث الغياب الحضور

وحيث الحضور الغياب

وحيث الشباب اغتراب⁹

تشكل حالة الاغتراب (تغرّبت عني، المحيط يضيق، السجون غنية...) في تجربة

الشاعر دافعا لفك ارتباطه بالعالم المحسوس، كون الأخير يضيق به وبأماله، ولم يعد

سوى سجن يتقياً فيه آلامه، ولا مفر له من هذه الحالة سوى لغته التي يشكل بها عالما

يتفياً ظلالة، إنها وضعية العبور (يعبرني) وتخطي التساؤل عن الموجود إلى السؤال عن

الوجود في-العالم، واعتبارا من هذه اللحظة سنلحظ تغيّر الخطاب المؤثّر لعالم الشاعر وتلوّنه باللاممكن الذي يوحي كما أشرنا سابقا بأن الشاعر استبدل علاقته من: موجود متشّيء داخل العالم إلى: موجود منشغل وقلق في-العالم» فهو موجود يتميز أيضا بكونه يحمل في نفسه "فهما للوجود" بعامة. أنه موجود يوجد دوما على طريقة الوجود "قبل الانطولوجي" (chisvorontolog)¹⁰، وعليه فإن الشاعر يدخل مرحلة فهم الكينونة من خلال خلق عالم كيانوي تتفاعل الذات معه من منطق مغاير لتفاعل الذات مع العالم المحسوس (ذات /موضوع) كون الأخيرة علاقة استغلال بالدرجة الأولى، فتتم عملية التفاعل والتفاهم بواسطة التأمل والتفكير ثم الفهم، فالشاعر لا يسأل العالم فحسب، بل يخلق عالما ويسمي موجوداته كما لو أنها لم تكن موجودة من قبل لابد أن ندرك – إذن- أن « الشعر هو تأسيس للوجود بواسطة الكلام. إذن ما يدوم لا يُستولّد من العابر على الإطلاق، فالبسيط لا يتيح لنا أن نعمل على استخراجها مباشرة من المعقد، القياس ليس موجودا فيما لا يُحدّ. ونحن لا نستطيع أن نجد الأساس (Grund) في الهوة (Agrund)، والوجود (Sein) ليس هو الموجود (Sciendes) على الإطلاق. ولكن بما أن الوجود وجوهر الأشياء لا يمكن أن ينتجا على حساب أو أن يتأتيا من الموجود المعطى، فذا يعني أنهما يجب أن يتم خلقهما بحرية كاملة وأن يتم وضعهما ليصبحا معطين»¹¹.

وبالتالي لا يصبح العالم في نظر الشاعر مجرد تطابق للأشياء والموجودات، بل هو هبة ومعطى به وفيه تتكشف الحقيقة (أنا طائر البرق/تلفحه الريح/ ما إن له من مقر/يسافر حيث الغياب الحضور/وحيث الحضور الغياب ..)، فالشاعر طائر مسافر مريد للحقيقة في عالمه اللغوي الصاخب بالرؤى والساحب نحو الأعماق، « كما أن عالمه الجديد هنا لا يمانع من أن تحضر فيه كل المتناقضات فهو عالم الحرية والجمال؛ لأن الجمال يترك للضد أن يكون حاضرا في ضده»¹².

إن الذات تنمّاهي وعالمها اللغوي فعلى عكس ما يبدو للوهلة الأولى أن الشاعر يفرّ من أزمته نحو عالم هلامي مجرد، فإننا نلغي اتصالا رؤيويًا يخرق الممكن المأساوي بعد خيبة الأمل فيه، ليخلق اللاممكن « فالذات في مرحلة الانكفاء هذه، تتحول عن الآخر الجمعي أو عالمه، ولكن لتندمج به؛ تفارقه لتراه، تنفصل عن عالمه لتتعرف عليه،

أو لتكتشفه، ومن ثم تؤسس معه علاقة اندماجية أكثر تطوراً، وأعمق تفاعلاً»¹³، يقول الشاعر التونسي منصف الوهايي في قصيدة (الآن استراحت ركابي):

كنتُ في أبحثُ الوطن العربيّ

عن الوطن العربيّ

فحاصرني عَسَس واقْتَفُوا حُلِّي

فانسلتُ إلى جسدي واختبأتُ

الآن استراحتُ ركابي

الآن استرحتُ¹⁴

قد يوحي هذا المقطع للوهلة الأولى بأن الشاعر يهرب من واقعه (تسلتُ، اختبأتُ)، لكن البعد الأعمق لحالة الراحة (استرحت) يشي بأن الشاعر لم يغادر عالمه بل وجده، فهو رحل عن عالم حسي غريب والتحق بعالمه الخاص الرحب من خلال العبور بمرحلة البحث والقلق.

إن الوجود في-العالم مرتبط كل الارتباط بالقلق والهَمّ الأنطولوجي، وهي الخصيصة التي تميز الموجود البشري عن غيره، فالذات لا تتعالى على العالم بقدر ما تسعى لأن تتألف، وتتوحد معه، وتفهم من خلاله كينونتها، وهذا ما يعبر عنه "هيدغر" بالوجود الحقيقي، أو الوجود الأصيل أو الدازاين؛ وهذا الأخير «مصطلح ابتكره هيدغر نفسه، وذلك بضمّ الكلمة الألمانية Sein، وتعني وجوداً، إلى كلمة ألمانية هي Da، وتحمل معنيين: الأول هنا؛ والثاني هناك، لهذا تصير الترجمة الحرفية لهذا المصطلح هي: الوجود-هنا، أو الوجود-هناك»¹⁵

فالوجود-هناك أو الوجود في المستقبل؛ هو ما يجعل الموجود البشري في حالة قلق وهمٍّ دائمين إزاء العالم، وهذا القلق يدفع الإنسان-حسب "هيدغر"- إلى سبر أغوار الذات واكتشاف إمكانياتها قصد مواجهة كل ما يحيط بها؛ فهو في الأخير مقذوف في-عالم لا يعرف عنه شيئاً، وليس موجوداً داخل العالم كسائر المخلوقات.

3.2 من سؤال الوجود إلى سؤال الموجودات:

يلجأ "منصف الوهايي" إلى طرح السؤال الوجودي (تعبيراً عن قلقه تجاه العالم) الذي يرمي به إلى فهم الذات ويتخذ الحوار كأداة لتأطير نصه المثخن بالجروح

الأنطولوجية، فهو يصطنع طرفين، هما في الحقيقة شهوة السؤال ورغبة الجواب اللتان تسكنان الذات، ليبرر موقفه من الوجود – تارة- ومن الموجودات - تارة أخرى- يقول في قصيدة (وأسّي "مرثية إلى أخت صغيرة"):

قال لي النهر:

أحملها فوق ظهري

إذا هي أرخت أعنةً مركها لرياح التخوم.

قالت النار:

يسكنها الخوف إن هي لم تغتسل

بمياهي الوضيئة

إن هي لم تمتزج بالنجوم.

وأقول لها وهي تنهض في الحلم

من موتها:

أجيء إليك من رحم الأراضى الصفر

أجيء لأسكن اسمك طائرا أخضر¹⁶.

يتأثت هذا المقطع من مرثية الوهايي بالحوار بين موجودات مختلفة تسكن العالم (النهر، النار...) وبين الذات الشاعر؛ باعتبارها تعيش لحظة التأزم والحزن، وتحاول أن تجد مسكنا لجرحها ومسكنا له، لتجد نفسها مرغمة على مغادرة أرض يباب (الأراضي الصفر) هي عالم الأحزان الذي يطوق جناحيه، ويعبر إلى عالمه الخاص؛ عالم النص ليعانق قصيدته، ويكتب له الخلد فيها وبها، إن « القصيدة عمل في يقوم على الحوار بين الإنسان والواقع، ويطلع من خلال التحديق في الذات الأخرى، الذات الديناميكية الجميلة الخصبة بالرؤى والمعارف والخواطر»¹⁷، وأول ما يتخلى عنه الشاعر هو الجسد؛ باعتباره عنصرا معيقا يحول بينه وبين رؤاه، إنه بذلك يقتل العنصر الترابي المادي فيه، لتحل الذات الشاعرة الآنية (وهي الذات المنفصلة عن عالم الشاعر الواقعي، والتي تولد أثناء مرحلة الكتابة وتوجد ضمن التخوم الفاصلة بين الوارد الشعري وتشكيل هذا الوارد في قلبه الفني) محل ذات الشاعر الكلية، أو الدائمة

في مشهد يتقاطع مع التجربة الصوفية القديمة؛ بين الفناء والبقاء فناء الجسد وبقاء الروح، يقول "منصف الوهايي" (في قصيدة: هل سنرحل يا رجل النوء):

ها أنا مفترع مملكة الأنثى

ولمّا بلج اللَّيْلِ النهارُ

جسد ملتفع بالريح يهتّز ويربو

يرتدي العاشق وجه الله في حضرته

يهبطُ في المدّ أقاليم البحار

(- كنتُ أكلُ وجهك مشبوحة،

كنتُ أخذ سيفك في راحتي

ولسيفك رائحة البحر،

ثمّ أقودك منه إلى جسدي..)

ومن الرغبة سوى الله هذا الجسد الوحشيّ،

هل يحمل إلا بذرة الموت التي يحيا بها¹⁸

إنها حالة يتوسد فيها الشاعر أنثاه (القصيدة) مفارقاً جسده الوحشي الترابي، وهذا ما يؤكّد أن الشاعر في مرحلة عبّرَ من عالمه الحسي إلى عالم ميتافيزيقي متخيّل، تنعدم فيه الرغبة الحسية، وتولد الرغبة الإنسانية في الظفر بالحقيقة « وبموجبها يفتقد الإنسان الطبيعة الحقيقية لوجوده، باستعاضه عن العالم الحسي (تفيد لفظة ميتافيزيقي إذا: ما وراء الطبيعة) بعالم متخيل يحتوي على كل الخيرات التي تنزع إليها الرغبة الإنسانية، وبهذا النحو يغدو الإنسان ذلك الذي يسميه نيتشه بسخرية المهووس بالعالم الآخر»¹⁹

إنها -إذن- خلخلة لعالم حسي موبوء برائحة الدم ومحكوم بسلطة السيف والظلام، وبحث عن عالم ممكن ينتهي إلى الكيان الداخلي للذات الشاعرة، فالتجربة الشعرية الحدائية لا يمكن أن تكون تجربة تصويرية محايدة وخاضعة للواقع، بل هي تجربة ترنو لإرادة الحرة والمستقلة في عالم خاص، فبقدر ما يتعد الشاعر عن واقعه، بقدر ما يتصالح مع ذاته، وينأى عن الرغبة الحسية، ويجعل ذاته حقيقةً مؤسّسة، وفاعلة في العالم، لها إرادة تغيير السائد، وسلطة تجاوز الثابت.

4.2. الموت كولادة للذات:

يرتبط مصطلح الموت -كما هو متعارف عليه- بالنهاية والفرق والحزن، وهو الحقيقة الوحيدة التي تتعالى فوق جميع الحقائق، وتتجاوز أي شك أو ريب، وقد تلخصت تجربة الشاعر العربي القديم مع الموت في كونه؛ أي الموت لحظة للصدق مع الذات، ومع الآخر المفقود أو المفارق، حيث إن الشاعر القديم يستجمع طاقاته الشعرية والشعورية الصادقة والمتدفقة من كيانه، ليرثي فقیده، ويحصى مناقبه، ثم ليوقف موقف المتأمل العاجز أمام هذا المطلق الذي لا انفكالك منه، وكثيراً ما يرجع إلى ذاته فيوبخها ويتحسر على ضياعها فيما لا ينفع ولا يشفع.

تختلف رؤية الشاعر المغاربي المعاصر للموت، إذ يرى حياته ميتة مؤقتة أو موقوتة، ذلك لأنه كان قد فقد طعم الحياة ورونقها مذ فقد عز أمته ومجدها، وهنا تشكّل ذلك الانعطاف في علاقة الشاعر بالموت؛ من علاقة ببيولوجية مؤجلة إلى علاقة وجدانية حاضرة ومكتملة لكيونة الموجود البشري، بل إن الموت أضفى في التجربة الشعرية المغاربية الحديثة اكتمال كل إمكانيات الذات لا نهاية لهذه الإمكانيات، لأن الموت هو الإمكانية الوحيدة التي ستتحقق للموجود البشري عاجلاً أم آجلاً والتي تخصه هو دون سواه «إن الموت بقدر ما هو "هو"، هو طبقاً لماهيته دوماً ذاك الذي يخصني. وبلا ريب هو يدلّ على إمكانية-كينونة مخصصة ضمنها، يتعلق الأمر ببساطة بكيونة الدّازين الخاص في كل مرة. فعند الوفاة يتبيّن أن الموت يتقوم بالكينونة التي- هي- في- كل- مرة وبالوجود»²⁰، إن الموت هو نهاية الإنسان المحتومة، واليقينية، والخاصة به دون غيره والتي تدفعه لمعرفة إمكانياته الأخرى وسبر أغوار ذاته، ولعل هذا الرجوع إلى الذات هو ما جعل الموت يرتبط أشد الارتباط بالشاعر؛ لأنه جُبل على الإحساس المرهف والتأمل في ماهية الموجودات وأشدّها وطناً عليه هو لا شك الموت، فهو لا ينظر إليه كنهاية أو عدم لوجوده، بل يعيد مفهمته وفق رؤية تستبطن دواخل الأشياء وتعيد شحنها، ومن ثم تبرز الذات الشاعرة في علاقتها بالموت كمعطى وجوداني بشقيها الوجداني المتموقع داخل النص، والأنطولوجي المنشغل بالعالم.

لقد تجاوز الشاعر المغربي "حسن الأمراني" الأسئلة المعروفة عن الموت: متى يكون؟ وأين يكون؟ وماذا سيحدث بعد الموت؟ إلى اعتبار الموت انتقال إلى نشأة أخرى؛

لتحقيق الكينونة وإثبات الوجود، فالشعر يوجد عندما يُكتب وكذلك الشاعر يُولد حين يموت، يقول الأمراني (في قصيدة الموت والمدينة الزاحفة):

تقدّمي!

تقدمي!

فنحن لن نعيش مرّتين

ونحن لن نموت مرّتين

كرهتُ القيدَ يا شعبي

أراك تغوصُ في قعر الجحيم

فتورق الأحجار أحزاناً

كرهتُ القيد

يا شعري

وها أني أفكُ قبودك الآن²¹

تتمظهر في هذا المقطع فلسفة الشاعر حيال الموت؛ إذ يرى موته حريةً لا بد أن يتقدم إليها، ويدنو منها دون خوف ولا فزع، كما يرى أن الموت هو الخلاص مما يكابده من معاناة.

تبرز المفارقة في هذا المقطع من خلال أمرين أساسيين:

- الأول: هو أن الشاعر يربط بين القيد المفروض على شعبه (كرهتُ القيد يا

شعبي) والوزن المقيّد لشعره:

الوزنُ قيد

الرّمزُ قيد

إلا أن كلّ إيقاع باطل

إلا إيقاع الموت²²

إنه ينافح عن حريته وحرية شعبه، فكما أن الموت هو حياة خالدة للشهيد، فإن حرية الشعر كذلك تُبعث من موت الوزن الخليلي المتكلس والصورة الشعرية المبتذلة.

- الثاني: يدحض الشاعر الفكرة الراسخة بأن الموت هو النهاية، ولا يتوانى مرة

أخرى في ربطها بالنص الشعري الحداثي، فحياة القصيدة الكلاسيكية هو موات للشعر

وجمود لا طائل منه، إذ يدعو إلى بعث هذا النص الرميم من خلال تجاوز جمود الشكل والوزن والإيقاع، يقول:

-أيا موزون!

حدثني عن البانين كل منارة

عن حاملي الأشواق للإنسان

-هم الشهداء-هم الأحياء

وإن قُتلوا وإن ماتوا

-ونحن؟

- ونحن أموات

حيازى²³

يقتفي الشاعر من خلال هذه الرؤية الشعرية الحداثية أثر الأساطير القديمة التي تستوقد من رماد الموت شعلة للحياة والانبعاث، فهو موقن بأن الموت هو بداية الانتصار، وأن الرفض هو بداية التجديد والتغيير، إنها رؤيا تتشابك فيها المتناقضات لتكون انسجاما وتتحد فيها الجزئيات لتكوّن كُلاً «والعمل الأدبي إنما هو شجرة، جسد كلي، كائن كلي، إنه جوهر وهذا كله يعارض الانقسام والتشتت. ففي عمل أدبي يتصالح الإنسان مع الطبيعة، ومع نفسه ومع عدوه»²⁴، كما يتساوى الموت بالحياة والوجود بالعدم، بل ويتبادل كل طرف دوره مع الطرف الآخر، إنها الذات الشاعرة الحداثية المتحررة من كل قيد والمتجاوزة لكل نظام، لأنها تروم عالماً لا متناهيًا تكون فيه سلطة الخلق للغة دون غيرها.

3. خاتمة:

- سعى الشاعر المغربي المعاصر إلى تذويت النص الشعري من خلال التمرد على قيد الرؤية الشعرية المغلقة، بعد أن تيقّن بحتمية إيقاظ الذات من سباتها العميق ومنحها فرصة القلق الوجودي وفسحة التحليق الوجداني.
- استطاعت الذات الشاعرة الواعية والفاعلة أن تتموقع ضمن عالم جديد منفتح على اللاتحديد ، حيث لا مكان فيه لحقيقة ثابتة ولا لذوات صاغرة، إنما وجودها مرتبط بالقلق والورطة الوجودية في العالم والتي تمنحها أفضلية السؤال، ومن ثم جوهر الحقيقة، حقيقة الوجود الإنساني.
- ليست اللغة في التجربة الشعرية الحداثية مجرد وعاء ينضح بدلالاته، بل هي وسيلة للخلق وبيت للوجود، فعن طريق اللغة يظهر العالم، ويتكشف لنا على حقيقته، وهنا يرتقي الشاعر من تسمية الأشياء إلى إيجادها.
- تشكّل تجربة الموت في النص الشعري المغربي المعاصر تيمة طافحة، وقد وظفها الشاعر كمؤشر على اكتمال كينونته في العالم، فموت الذات الشاعرة لا يعني نهايتها بقدر ما يوحي ببدء مرحلة جديدة بعيدا عن وجودها الهش وهامشيتها القاتلة.

4.الهوامش:

1. مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، (لبنان)، 2012، ص52.
2. علي محمد علي الطنازقي، الهوية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصرين سيد قطب وعلي شريعتي، مكتبة مديولي، ط1، القاهرة(مصر)، 2013، ص 57.
3. محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية)، دار التنوير للنشر، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)، 1985، ص47.
- * ينبغي لنا أن نشير إلى أن مفهوم الذات الشاعرة- المنقول عن الناقد عبد الواسع الحميري في كتابه(الذات الشاعرة في شعر الحداثة)- يعني تلك الذات الوجودية العرضية والحادثة، أو الآنية: تمثل وضع الشاعر الآن(الآن-هنا) في فضاء الشعري وقد أخذ الآن-هنا في التجربة يواجه بإمكانياته الشعرية وضعه خارج الشعر، يفكك بإمكانات اللغة – الإبداع الأنطولوجي، في العالم الواقعي أو الموضوعي، يعيد صياغة العالم وصياغة علاقته بالعالم، على نحو يحقق الولادة الممكنة له وللعالم.
4. محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها(4 مساءة الحداثة)، دار توبقال للنشر، ط 3، الدار البيضاء(المغرب)، 2014، ص79.
5. عبد العزيز بومسولي، الشعر والتأويل(قراءة في شعر أدونيس)، أفريقيا الشرق، دط، المغرب، 1998، ص15-16.
- *. ونقصد بالعالم الكيانوي(حسب فتحي المسكيني في كتابه الكوجيطو المجروح) ذلك العالم الذي تتكشف فيه الكينونة الانسانية، فالذات لا يمكن أن تتموقع ضمن عالمها المرئي إلا من خلال إدراك لعالمها اللا مرئي والدخول في علاقة تفاعل معه تنتهي بإيماننا أن هناك عالما آخر لا يرى يجب أن نراه، فكما أن الجسد ليس وحده من يُدرك فكذلك لا يقتصر الوجود على عالم مرئي واحد.
6. مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، ص133.
7. مصطفى الغماري، حديث الشمس والذاكرة(شعر)، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986، ص 66.
8. فتحي المسكيني، الكوجيطو المجروح(أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة)، دار الأمان، دط، الرباط(المغرب)، 2013، ص104.
9. مصطفى الغماري، الديوان، ص 66-67.
10. فتحي المسكيني، نقد العقل التأويلي أو فلسفة الإله الأخير، مركز الإنماء القومي، ط1، بيروت (لبنان)، 2005، ص180.
11. مارتن هيدغر، إنشاد المنادي(قراءة في شعر هولدرلن وتراكل)، تر: بسام حجار، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت(لبنان)، 1994، ص 62-63.
12. المرجع نفسه، ص 72

13. عبد الواسع الحميري، الذات الشاعر في شعر الحدائة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، (لبنان)، 1999، ص36.
14. منصف الوهايي، ديوان الوهايي، دار محمد علي للنشر، ط1، صفاقس، (تونس)، 2010، ص41.
15. مجموعة باحثين، مارتن هيدغر مقاربات نقدية لنظامه الفلسفي، العتبة العباسية المقدسة، ط1، المركز الاسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف، (العراق)، 2020، ص13.
16. منصف الوهايي، (الديوان)، ص 23-24.
17. عبد العزيز المقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، (سوريا)، 1981، ص 28.
18. منصف الوهايي، (الديوان)، ص25.
19. عبد العزيز بومسهولي وآخرون، أقول الحقيقة (الانسان ينقض ذاته)، أفريقيا الشرق، دط، الدار البيضاء (المغرب)، 2004، ص 72.
20. مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، ص437.
21. حسن الأمrani، الزمان الجديد (ديوان شعر)، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الرباط (المغرب)، 1988، ص72.
22. المصدر السابق (الديوان)، ص72.
23. المصدر نفسه (الديوان)، 75.
24. أدونيس، شانتال شواف، الهوية غير المكتملة (الابداع، الدين، السياسة، والجنس)، تر: حسن عودة، بدايات للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، (سوريا)، 2005، ص56.